العنوان:	علم الاجتماع في بلد اشتراكي
المصدر:	مجلة الطليعة
الناشر:	مؤسسة الأهرام
المؤلف الرئيسي:	عويس، سيد
المجلد/العدد:	س 6, ع 12
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1970
الشهر:	ديسمبر
الصفحات:	74 - 81
رقم MD:	391897
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	علم الاجتماع، الدول الاشتراكية، البحث العلمي، علماء الاجتماع، البحوث الاجتماعية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/391897

© 2026 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

عويس، سيد. (1970). علم الاجتماع في بلد اشتراكي.مجلة الطليعة، س 6, ع 12- 74 ، 81. مسترجع من http://:search.mandumah.com/Record/391897

إسلوب MLA

عويس، سيد. "علم الاجتماع في بلد اشتراكي."مجلة الطليعةس 6, ع 12 (1970): 74 - 81. مسترجع من http://:search.mandumah.com/Record/391897

© 2026 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

علم الاجتماع في بلد اشتراكى



د. سيد عويس

الخبير الاول بالمركز القومى
للبحوث الاجتماعية والجنائية

- ١ -

في خلال شهر اغسطس ١٩٧٠ زرت مدينة موسكو لاول مرة ، وقد حرصت فى أثناء هذه الزيارة على أن احصل على بعض البحوث والدراسات الاجتماعية السوفيتية ، كما حرصت على مقابلة بعض المتخصصين فى العلوم الاجتماعية فى الاتحاد السوفيتى ، وقد أتيحت لى الفرصة فى يوم الثلاثاء الموافق ١١ من اغسطس أن أزور « معهد الدراسات الاجتماعية الواقعية » التابع لاكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى Institute of Concrete sociological Studies

وفى أثناء هذه الزيارة قابلت بعض العاملين فى هذا المعهد وكان على رأسهم الاكاديمى ا . م . روميانتسيف A.M. Rumyantsev المشرف على هذا المعهد ونائب رئيس أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى .

ويرجع حرصى على الحصول على بعض البحوث والدراسات الاجتماعية السوفيتية الى اهتمامى باثراء خبراتى ، على المستوى النظرى ، فى موضوعات أعتبر نفسى واحدا من العاملين فى مجالاتها ، أما حرصى على مقابلة بعض المتخصصين فى العلوم الاجتماعية فى الاتحاد السوفيتى فانه يرجع الى حاجتى الى استجلاء بعض الامور ، منها وأهمها التعرف على أساليب البحث العلمى الاجتماعى فى المجتمع السوفيتى ، ومناقشة هذه الاساليب وموضوعاتها فى ضوء خبراتى وتجاربى النظرية والعملية التى حصلت عليها فى مجتمعنا وفى المجتمع الانجليزى ، وفى المجتمع الامريكى ، ولم يكن حرصى على التعرف على أساليب البحث العلمى الاجتماعى فى هذا المجتمع هدفا فى ذاته ، بل كان وسيلة ، أيضا للتعرف على وجود او عدم وجود « علم اجتماع ماركسى » ذلك لاننى كمواطن عادى أرى أن اثراء معارف المتخصصين وطلاب العلم فى مجتمعنا المصرى المعاصر ، فى ضوء ظروفه الراهنة ، أمرا يجب أن يختلف عليه اثنان ، وأن الوصول الى وجود أو عدم وجود « علم اجتماع ماركسى » ييسر لى ، كأحد طلاب هذا العلم ، وضوح الرؤية

وبخاصة وقد بدا الاهتمام أخيرا ، بهذا الموضوع في محيط بعض المتخصصين المصريين ·

وقد اتيحت لى الفرصة للحصول على بعض المنشورات التى تتضمن بحوثا ودراسات عن موضوعات الشباب والعمال والقوميات فى المجتمع السوفيتى ، وكلها قد نشرت باللغة الروسية التى لا أعرفها ، كما أتيحت لى الفرصة للحصول على نسخ قليلة من مجلة « العلوم الاجتماعية اليوم » Social sciences today لعام ١٩٧٠ التى تصدرها اكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتى ، وعلى نسخ قليلة من مجلة « العلوم الاجتماعية Social sciences لعام ١٩٧٠ التى تصدرها نفس الاكاديمية · وكانت هذه المجلات منشورة باللغة الانجليزية التى أعرفها ·

ـ ٢ ـ

وفى ضوء بعض الخبرات النظرية والعملية عن موضوعات علم الاجتماع والبحث العلمى فى ميدان العلوم الانسانية ومجالاتها ، وما قرأته باللغة الانجليزية لكل من ت · ب · بوتومور T.B. Bottomore وماكسميلين روبل Maximilien Rubel فى كتابهما « كارل ماركس : أعماله فى علم الاجتماع والفلسفة الاجتماعية » ١٩٦٣ ، وما قرأته للاكاديمى ج · أوسيبوف G. Osipov فى مقالة بمجلة « العلوم الاجتماعية اليوم » عدد ٣ وموضوعه « لينين وعلم الاجتماع الماركسى » ، وللدكتور ف . كيل V. Kelle فى مقاله بمجلة » العلوم الاجتماعية عدد ٢ وموضوعه «وظائف العلوم الاجتماعية فى ظل الاشتراكية » وما قرأته من أعمال اخرى حول هذا الموضوع وحول النظرية الماركسية بفروعها السياسية والاقتصادية والفلسفية ، فضلا عن نتائج الحوار المفيد الذى دار بينى وبين الاكاديمى روميانتسيف ـ أتشرف بأن أعرض أمام القارىء العربى ، فى المقال الحالى ، وجهة النظر السوفيتية فى الموضوعات الآتية :

ا ـ اهداف البحوث الاجتماعية ومجالاتها وأنواعها ·

ب ـ أدوات جمع الحقائق ·

ج ـ النظرية والتطبيق ·

د ـ علم الاجتماع ·

ـ ٣ ـ

واذا كان موضوع المقال الحالى هو « علم الاجتماع فى الاتحاد السوفيتى » فان ترتيب الحديث عن الموضوعات السابقة ، كما هو ، يبدو منطقيا ، فالموضوعات الثلاثة الاولى تتضمن الحديث عن أساليب البحث العلمى الاجتماعى فى الاتحاد السوفيتى ، وهى بدورها تيسر التعرف على وجود أو عدم وجود نمط معين لعلم الاجتماع فى الاتحاد السوفيتى ، كما تيسر التعرف ـ ان وجد هذا النمط المعين ـ على نوعيته ، أى اذا كان نمطا ماركسيا أو غير ذلك ·

ولعل اهتمامى بأن أعرض بداءة موضوع البحوث الاجتماعية ومجالاتها وأنواعها ، فضلا عن ذلك ، اننى اعمل فى هذا الميدان بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، وأن هذا الموضوع وما يتصل به من موضوعات كانت شغل المركز الشاغل فى خلال عام ١٩٦٩ عندما حاول أن يتلمس طريقه نحو وضع سياسة علمية له أو نحو تطوير السياسة العلمية التى يسير عليها منذ انشائه فى عام ١٩٥٦ ·

كان موضوع « وضع » سياسة علمية للمركز أو « تطوير » هذه السياسة فى ضوء ظروف ما بعد عام ١٩٦٧ هدفا نحاول نحن العاملين فى المركز أن نحققه ، وقد ناقشنا فى هذا الصدد موضوعات عديدة .. منها وظيفة المركز ، وأهدافه ، والايديولوجية التى يعمل فى ظلها المركز ، ومناهج البحث الاجتماعى ، ومجالات العمل بالمركز ، ولم نكتف بذلك بل دعت ادارة المركز بعض المتخصصين المصريين المنتمين بالمجال الذى يعمل فيه المركز فى شكل « لجنة خبراء » لابداء الرأى فى تقرير يضم خلاصة المناقشات المشار اليها ، وقد نظر هؤلاء المتخصصون فى موضوعات عديدة · أهمها الباحث الاجتماعى والتزامه بالايديولوجية ومناهج البحث ، وموضوعات البحوث ، وأولويات البحوث ، والمواطن الصالح ، ومفهوم العلم ، وعملية التفسير ، ومهمة المركز الاساسية ، والمعوقات ، وبعض الموضوعات الاخرى ·

فى ظل هذا المناخ الثقافى الذى عشته فى المركز شهورا عديدة ، ومازلت أعيشه حتى الان ، أبدأ حديثى عن أهداف البحوث الاجتماعية ومجالاتها وأنواعها فى الاتحاد السوفيتى ·

ـ ٤ ـ

لقد لاحظت ان اهتمام السوفيت بالبحوث الاجتماعية قد جاء متأخرا ، فقد انشىء « معهد الدراسات الاجتماعية الواقعية » فى عام ١٩٦٨ ، ومن ثم فانه يمكن القول بأن تقاليد البحث العلمى فى محيط العلوم الاجتماعية وفى مجالاتها فى الاتحاد السوفيتى لم ترس دعائمها حتى الان ، ومع ذلك فانه من الملاحظ أن الباحثين الاجتماعيين السوفييت يعملون فى ضوء فلسفة أو أيديولوجية

واضحة المعالم ، ويهدفون ببحوثهم الى مساعدة الحزب والحكومة على بناء المجتمع السوفيتي الجديد والانسان السوفيتي الجديد ، أما مجالات هذه البحوث فهى عديدة توضحها كثرة وحدات المعهد واقسامه ففي المعهد نحو ست عشرة وحدة تهتم بالبحوث فى مجالات مشكلات « العمل والعمال » و « الرأى العام » و « أساليب البحث » و « نظام التحليل الاحصائى » و « الشباب » و « الاتصال الجمعى » Media — Mass و « التعليم » و « التوجيه » و « الفن والثقافة » و « التخطيط » و « وقت الفراغ » و « التاريخ » و « علم النفس الاجتماعى » فضلا عن « المشكلات السياسية » و « مشكلات العلم » و « المشكلات الحضرية » ، مع ملاحظة أن لمشكلات « الريف » معهدا مستقلا ، وأن لمشكلات « الجريمة ومعاملة المجرمين » معهدا مستقلا آخر .

والملاحظ أنه اذا كانت مجالات البحوث الاجتماعية عند السوفيت متعددة ، فان انواع هذه البحوث متعددة أيضا ، ويمكن القول بأن مصادر هذه البحوث متعددة كذلك ، فالبحوث يقترحها علماء الاكاديمية والوزارات والادارات والمصالح الحكومية فضلا عن منظمات الحزب المعنية ، وهى بحوث يكون مجالها البشرى عادة المجاميع من اعضاء المجتمع مثل القوميات والعمال والشباب ، وهى تهدف فى ضوء الاهداف الواضحة ، الى تحقيق التنمية الاجتماعية فى المجتمع السوفيتى ، كما تهدف الى الوصول الى صورة كاملة عن المجتمع والحياة الاجتماعية ككل فى ضوء مستويات نظرية متباينة حسب ما تقتضيه طبيعة موضوع كل بحث أو دراسة ، وقد صنف الاكاديمى اوسيبوف هذه المستويات فى مقاله المذكور آنفا كما يلى :

أ — المستوى الاجتماعى الفلسفى ، وتدخل فى نطاقه البحوث التى تتعلق بالملامح النوعية لقوانين المادية الجدلية فى محيط الحياة الاجتماعية .

ب — مستوى النظرية الاجتماعية العامة ، ويعتمد على « المادية التاريخية » ، وتدخل فى نطاقه البحوث التى تتعلق بالقوانين العامة التى تتحكم فى عمليات التنمية الاجتماعية .

جـ — مستوى نظرية البناء الاجتماعى للمجتمع ، وتدخل فى نطاق هذا المستوى البحوث التى تهتم بالقوانين الرئيسية التى تحكم تفاعل النظم الاجتماعية ووظائفها مع تركيباتها المختلفة فى نطاق بناء اجتماعى معين .

د — مستوى نظرية تعدد النظم الاجتماعية وتركيباتها ، وتدخل فى نطاقه البحوث التى تهتم بنوعية أنماط التناسق لوظائف النواحى العديدة للحياة الاجتماعية وظواهرها .

هـ — المستوى الامبيريقى ، وتدخل فى نطاقه البحوث التى تهتم بدراسة الحقائق الاجتماعية وتنسيقها علميا .

مع ملاحظة أن هذه المستويات جميعها ليست نقط متصلة بعضها ببعض ، وتتميم بعضها البعض ، ويعتبر كل واحد منها أساسا لغيره — بل انها تعتبر ذات قيمة مستقلة كذلك .

ومن ثم نجد أن اختيار موضوعات البحوث الاجتماعية السوفيتية يتم على أساس أيديولوجى يهدف الى الصالح العام . صالح المجتمع السوفيتى ككل ، أى أن هذا الاختيار يأخذ فى اعتباره اذا كان موضوعه « القوميات » ، مثلا ، دراسة هذا الموضوع للتعرف عليه موضوعيا لا بقصد التفريق بين هذه القوميات بل بقصد التقريب بينها ، أى أن الهدف من بحث القوميات هدف اشتراكى له عائد عام يعمل فى سبيل تحقيقه المجتمع السوفيتى ككل ، بعكس ما يحدث فى المجتمع الرأسمالى حيث تختار البحوث ويتم اجراؤها بقصد الفهم الموضوعى لموضوعاتها ومحاولة تغييرها لمصلحة شخصية .. مصلحة « حفنة من أعضاء المجتمع » أو مصلحة حكومة تعمل باسم هذه الحفنة .

— ٥ —

والملاحظ أن البحث الاجتماعى فى الاتحاد السوفيتى قد يكون بحثا نظريا أو يكون بحثا واقعيا ، أو يكون بحثا نظريا وواقعيا معا ، والبحث الواقعى هو فى حقيقة الامر ما يسميه الباحثون الاجتماعيون السوفييت بـ « البحث الامبريقى Emperical Research والملاحظ أن لمفهوم البحث الامبريقى او الدراسة الامبريقية له ، فى ضوء التراث الاجتماعى العلمى ، معانى عديدة ، نهو كما يستخدم فى معظم الاحيان فى علم الاجتماع يعنى ما ليس نظريا أو تحليليا ، وانه الدراسة الواقعية التى **قد تعتمد أو لا تعتمد على نظرية واضحة** ، أى انه يختلف عن الدراسة التى تعنى بوضع لغة للافكار المحددة ، أى اللغة التى تهتم بنحت المفاهيم بقصد تحليل العلاقات الاجتماعية ، وهو يختلف أيضا عن وضع نظرية معينة أو تفسير معين لنواحى الحياة الاجتماعية دون اختبار صحة أو خطأ هذه النظرية أو هذا التفسير ، وقد يعنى هذا المفهوم ببساطة دراسة العالم فى مقابل مجرد تحليل هذا العالم ، أى مجرد عدم تأكيد أى شىء عنه ، وذلك عن طريق

الرياضة البحتة ، أو المنطق الرمزى ، وقد يعنى مفهوم الامبريقى الدراسة التى تنقصها النظرية الواضحة ، أو التى لم تعتمد على نظرية واضحة **تهتدى بها فى اجراءاتها** ، كما قد يستخدم هذا المفهوم بمعنى واسع ليعنى الدراسة الواقعية وليست الدراسة المكتبية أو النظرية التى تعتمد على المكتبة والمراجع ٠

وفى زحام هذه المعانى للبحث الامبريقى أو للدراسة الامبريقية ، نلاحظ أن الباحثين الاجتماعيين السوفيت ، اذ يقومون ببحوثهم الواقعية يعتمدون دائما على نظرية واضحة يهتدون بها فى كل خطوة من خطواتهم هى « النظرية الماركسية » التى تفسر التاريخ والواقع ، دائماوباستمرار ، تفسيرا ماديا ٠ **ومن ثم فالبحث الواقعى عند الباحثين الاجتماعيين السوفييت هو بحث امبريقى ، بمعنى أنه دراسة واقعية تعتمد على نظرية واضحة** ، وهو أحد المعانى التى ذكرتها لهذا المفهوم آنفا ٠

ومع ذلك فاننا نلاحظ أن الباحثين الاجتماعيين السوفيت اذ يقرون البحوث والدراسات الواقعية (الامبريقية) ، أى البحوث والدراسات التى يجمعون فيها الحقائق الاجتماعية ويدرسونها ويعالجونها علميا ٠٠ نراهم يوجهون النظر الى أمرين :

ا ــ **الامر الاول** : أن تكون الحقائق المجموعة شاملة وألا تكون مجرد حقائق مختارة تعسفيا ، فالظاهرة التاريخية مثلا ، يجب أن تكون دراستها دراسة موضوعية ، أى يجب أن تدرس ، ككل ، فى علاقاتها المتداخلة والمشتركة مع الظواهر الاجتماعية الاخرى ، وألاتعتبر هذه الدراسة ، من غير تحقيق ذلك ، مجرد عملية تلفيق تبرر وضعا معينا لا يهدف الى الصالح العام .

ب ــ **الامر الثانى** : وهو ما يعبر عنه بـ « عبادة الحقائق » ، أى الاهتمام بمجرد جمع الحقائق وتراكمها ، ومهما بذلت فى سبيل ذلك من جهود ، فان الباحثين الاجتماعيين السوفيت يرون أن هذه الجهود لا تثمر كثيرا ، أى أن مجرد جمع الحقائق وتراكمها ليس ذا فائدة كبيرة ، عندهم ، الا اذا حللت هذه الحقائق تحليلا مبنيا على التفكير العميق وفى ضوء نظرية واضحة ٠

واذا كان الباحثون الاجتماعيون السوفيت يختلفون مع غيرهم وبخاصة مع الكثير أو معظم الباحثين الاجتماعيين فى المجتمعات الغربية فى اختيار موضوعات بحوثهم ، واذا كان هؤلاء الباحثون يجرون البحوث لامبريقية ، بالمعنى السابق ، ويتفقون فى ذلك مع الكثيرين من الباحثين الاجتماعيين فى المجتمعات الغربية وبخاصة اذا كان الاخيرون يجرون بحوثا متعمقة يختبرون فيها صحة أو عدم صحة نظرية ما ، أو يفسرون نتائج هذه البحوث فى ضوء نظرية ما ، أى وبخاصة اذا كانت البحوث أو الدراسات التى تجرى ليست بحوثا أو دراسات استطلاعية ، فاننا نلاحظ أن الباحثين الاجتماعيين السوفيت يتفقون مع غيرهم من الباحثين فى استخدام نفس أدوات جمع الحقائق ، فهم يستخدمون « المقابلة » و « صحيفة الاستبيان » و « صحيفة الاستخبار » وغيرها ، بل ويطلقون عليها نفس المفاهيم الغربية ، وهم يستخدمون الاسلوب الاحصائى فى معالجة البيانات التى تجمع ، يجدولونها ويوضحونها فى رسوم بيانية ، ويحاولون أن يجدوا العلاقات بين نتائجها ودلالات الفروق بين نسبها ٠٠٠ الخ ٠ وهم يجرون بحوثهم فى فريق ، وان كان يحدث فى بعض الاحيان أن يوكل الى أحد الباحثين مهمة اجراء بحث بمفرده .

ــ ٦ ــ

واذا سلمنا بأن مجرد « عبادة الحقائق » أى مجرد جمعها وتراكمها لا يفيد مجتمعا كالمجتمع السوفيتى فى الوقت الحاضر ، فهو فى مجتمع كمجتمعنا المصرى المعاصر ، فى ضوء حقائق التاريخ والواقع الحى فيه ، يكون ذا فائدة ، اننا فى حاجة ماسة الى خريطة اجتماعية ثقافية موضوعية عن هذا المجتمع . وان تعداد السكان ، مثلا ، يعنى مجرد جمع الحقائق عن هؤلاء السكان ، وفائدة هذا التعداد فى ضوء الخبرة أكيدة ، واننى أرى أن الاهتمام بجمع الحقائق وتراكمها لايعنى بالضرورة عدم الاهتمام بتحليلها واستخراج نتائجها ومحاولة تفسير هذه النتائج أو استخراج بعض الفروض منها واختبار صحتها أو عدم صحتها ، ولا يعنى الا يكون هذا التحليل مبنيا على التفكير العميق وفى ضوء نظرية واضحة ، واذا كان الباحثون الاجتماعيون فى المجتمع السوفييتى يعتمدون فى التحليل وفى التفسير على نظرية معينة واضحة ، فان الباحثين الاجتماعيين فى المجتمعات الاخرى يعتمدون فى التحليل وفى التفسير على نظريات معينة تبدو واضحة أحيانا كما تبدو غير واضحة أحيانا أخرى ، ان العبرة كل العبرة فى رأيى هى نتاج ما يحدث فى المجتمع عند تطبيق البرامج التى تعتمد على نتائج البحوث ، سواء كانت هذه البرامج تخطيطية أو برامج تهدف الى التغيير فى محيط اعضاء المجتمع ، سواء كانوا فلاحين أو عمالا ٠٠ نساء أو رجالا أو شبابا أو أطفالا ، ان هذا النتاج هو هدف الاهداف ، وهو المحك الحقيقى للتمسك بنظرية معينة أو لنبذ أخرى ، فى المجتمع

الاشتراكى يجب أن يكون هذا النتاج لصالح الملايين ، وفى المجتمع الرأسمالى لا يتوقع أن يكون هذا النتاج لصالح الملايين ، بل يكون ، عادة ، لصالح الفئة التى تستغل الملايين .

ـ ٧ ـ

والملاحظ أنه لا يمكن التسليم ، دائما ، بأن الدراسات أو البحوث الاستطلاعية لاتعتمد على نظرية ما ، ذلك لانه اذا لم تكن هذه النظرية واضحة فهى موجودة ضمنا ، والملاحظ أنه لا يعيب الدراسة أن تكون دراسة استطلاعية وصفية أو مجرد دراسة استطلاعية ، أو يعيب البحث أن يكون بحثا استطلاعيا وصفيا ، أو مجرد بحث استطلاعى، ذلك لان الدراسات أو البحوث الاستطلاعية تعتبر خطوة الى الامام ، أى هى خطوة ينتظر أن تتبعها خطوات ، أى تتبعها دراسات وبحوث أكثر عمقا وشمولا ، وهى خطوة ضرورية يسترشد بنتائجها الباحث الجاد أو يحاول اثباتها أو دحضها بالبحث والتطبيق معا ، ان الكشف عن أسرار مجتمعنا القديم قدم الدهر المستمر استمرار الحياة فى ضوء تاريخه العريق وفى ضوء ظروفه الاجتماعية الثقافية والاقتصادية والسياسية يجب أن يشجع ويقدر ، ولكى نصل الى اعماق هذا المجتمع لابد من بداية ، ولكى نبدالابد أن نروج للدراسات والبحوث الاستطلاعية حتى تتضح الرؤية أمامنا ، وأمام قادتنا والعاملين فى سبيل تغيير المجتمع المصرى المعاصر على اختلاف مستوياتهم ومواقع عملهم .

ـ ٨ ـ

والملاحظ أن الباحثين الاجتماعيين السوفيت يهتمون ، عادة ، بربط النظرية بالتطبيق ، وهم يحاولون دائما وباستمرار أن يختاروا موضوعات بحوثهم بقصد التطبيق ، ويهدفون فى سبيل ذلك الى الصالح العام .. صالح الشعوب السوفيتية ، ان تكوين هيئات البحوث يتوقف على طبيعة الموضوع المراد بحثه ، فاذا كان بحثا يخص العمال مثلا ، كان من ضمن هيئة البحث عمالا، واذا كان البحث يخص الشباب كان من ضمن هيئة البحث أساتذة الجامعة والمسئولون عن منظمات الشباب فضلا عن الشباب أنفسهم ، ونتائج البحوث فى المجتمع السوفيتى تترجم أولا بأول الى برامج والى تشريعات ، وتدخل فى عمليات التخطيط ، ويقوم بتنفيذها ورعايتها مسئولون يجدون دائما تعاون أصحاب المصلحة الحقيقية من العمال والشباب وغيرهم من الفئات الذين أجريت البحوث من أجلهم وبهم .

ـ ٩ ـ

وفى ضوء كل ما سبق يمكن أن نستخلص النتائج التالية :

أ ـ أن البحث العلمى الاجتماعى فى الاتحاد السوفييتى ما زال فى المهد .

ب ـ أن أهداف البحوث الاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى فى معظمها أهداف تطبيقية تهدف الى تحقيق التنمية الاجتماعية فى المجتمع السوفييتى ، كما تهدف الى الوصول الى صورة كاملة عن المجتمع والحياة الاجتماعية ككل فى ضوء مستويات نظرية حسب ما تقتضيه طبيعة موضوع كل بحث أو دراسة .

جـ ـ أن مجالات البحوث الاجتماعية فى الاتحاد السوفيتى مجالات عديدة .

د ـ أن موضوعات البحوث الاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى تتسم بالشمول ، ويدرسها الباحثون الاجتماعيون السوفييت ككل فى علاقاتها المتداخلة والمشتركة مع الظواهر الاجتماعية الاخرى .

هـ ـ أن البحوث الاجتماعية فى الاتحاد السوفيتى نظرية واقعية أى امبريقية ، ويعتمد الباحثون الاجتماعيون السوفيت فى اختيار موضوعاتها وتفسير نتائجها دائما على نظرية واضحة يهتدون بها فى كل خطوة من خطواتهم هى « النظرية الماركسية » التى تفسر التاريخ والواقع ، دائما وباستمرار ، تفسيرا ماديا .

و ـ ان الباحثين الاجتماعيين السوفييت يتفقون مع غيرهم من الباحثين الاجتماعيين فى استخدام نفس أدوات جمع الحقائق الاجتماعية ، وهم يرون أن تكون الحقائق المجموعة شاملة والا تكون مجرد حقائق مختارة تعسفيا ، وينفرون من مجرد جمع الحقائق وتراكمها الا اذا حللت هذه الحقائق تحليلا مبنيا على التفكير العميق ، وفى ضوء نظرية واضحة

ز ـ أن الباحثين الاجتماعيين السوفييت يهتمون، عادة، بربط النظرية بالتطبيق، يتضح ذلك عند اختيار موضوع البحث وعند تكوين هيئات البحوث، كما يتضح ذلك عند ترجمة نتائج البحوث أولا بأول الى برامج والى تشريعات والاستفادة منها فى التخطيط . وعند تنفيذ هذه البرامج حيث يجد المسئولون عن التنفيذ تعاون أصحاب المصلحة الحقيقية الذين أجريت من أجلهم وبهم هذه البحوث .

وتعنى النتائج السابقة ، عند كاتب المقال ، أنه على الرغم من حداثة القيام باجراء البحوث العلمية الاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى ، فان أهدافها ومجالاتها واختيار موضوعاتها وأدوات جمع حقائقها واستخدام أساليب استخراج نتائجها وتفسير هذه النتائج والاستفادة من هذه النتائج: **تتم جميعها ، فى ضوء أيديولوجية او فلسفة معينة هى « الفلسفة الماركسية » ، بقصد بناء المجتمع السوفيتى الجديد والانسان السوفيتى الجديد . أى بقصد تحقيق أهداف اشتراكية لها عائد عام يعمل فى سبيل تحقيقه المجتمع السوفييتى ككل .**

أما البحوث العلمية الاجتماعية فى المجتمعات الغربية فهى أرسخ قدما ، أى أن القيام باجرائها فى هذه المجتمعات اقدم ، ونلاحظ ان أهداف هذه البحوث ومجالاتها واختيار موضوعاتها وأدوات جمع حقائقها واستخدام أساليب استخراج نتائجها وتفسير هذه النتائج ، والاستفادة من هذه النتائج **تتم جميعها ، ايضا ، فى ضوء أيديولوجية أو فلسفة معينة تكون واضحة احيانا وتكون موجودة ضمنا احيانا اخرى ، بقصد الفهم الموضوعى لموضوعات هذه البحوث ، ومحاولة تغييرها لمصلحة شخصية . مصلحة الفئة التى تستغل الاخرين ، أى بقصد تحقيق أهداف رأسمالية لها عائد خاص يعمل فى سبيل تحقيقه « حفنة من اعضاء المجتمع » أو حكومة تعمل باسم هذه الحفنة .**

وفى هذا الضوء نلاحظ أن أساليب البحث العلمى الاجتماعى فى المجتمع السوفيتى تتفق مع أساليب البحث العلمى الاجتماعى فى المجتمعات الغربية الا فى أمور ثلاثة .. هى :

أ ـ أهداف البحوث .
ب ـ اختيار البحوث .
جـ ـ تفسير نتائج البحوث .

وأنه على الرغم من الاختلاف فى هذه الامور الثلاثة بين الباحثين الاجتماعيين فى المجتمع السوفييتى وفى المجتمعات الغربية ، فان نتائج البحوث العلمية الاجتماعية فى هذه المجتمعات تحقق أهدافها .

ـ ١٠ ـ

والملاحظ أن علم الاجتماع ، كما يعلم القارىء العربى ، قد أسسه « **أوجست كونت** » فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر ، مع ملاحظة أن كونت لم يكن أول من درس المسائل الاجتماعية أو تلك التى تحوم حول الحياة الاجتماعية البشرية مثل السياسة والاخلاق والاقتصاد والتشريع والتاريخ .. الخ . واذا كان أوجست كونت قد نظر الى المجتمع ككل ، فاتخذه موضوعا لعلم مستقل قائم بذاته ، فان « **ابن خلدون** »، كما يعلم القارىء العربى أيضا ،قدفعل ذلك قبل كونت بمدة تزيد على أربعمائة وستين عاما ، ومن ثم فان حق ابن خلدون بلقب « مؤسس علم الاجتماع » أقوى من حق كونت ، أن ابن خلدون قد وضع أسس علم الاجتماع ، وارتفع ببناءذلك العلم ارتفاعا يستحق الاعجاب ، « الا ان ذلك البنـاء نكب بالاهمال والنسيان ، واندثر تحت رمال الزمان »، وكان أن بعث علم الاجتماع ، مرة أخرى ، فى أوربا فى ضوء ظروف أجتماعية واقتصادية وسياسية جديدة ، وان كان موضوعه ما زال موضوعا مستقلا هو « المجتمع الانسانى » ومنهجه هو « المنهج العلمى » .

واذا كان الموضوع المستقل الذى يستوجب ان يكون علما قد تحددت معالمه وعرفت مفاهيمه ، واعتبر أنه من الامور التى تحدث وتتكون تحت تاثير أسباب وعوامل معينة ، أى من الامور التى تتبع قانون السببية ، وتدخل فى نطاق مبدأ التعيين والحتمية ـ فان المنهج العلمى هو السعى الى التعرف على القوانين التى تحكم الظواهر التى يتضمنها موضوع العلم المستقل ،أى السعى الى الاجابة عن السؤالين كيف ؟ ولماذا ؟ ، أى التعرف على العوامل التى تكون من وراء وجود هذه الظواهر وعلى القوانين التى تحكمها ، مع ملاحظة أن هذا المنهج لا يبحث أبدا ، ولا يهمه أن يبحث أبدا ، عن « الاجتماع الانسانى » موضوعا لعلم مستقل كما يلاحظ ايضا ، أن وجود أية ظاهرة متوقف على عوامل متعددة وديناميكية .

أى أن العلم .. أى علم .. هو ، فى الواقع : حصيلة الخبرات الانسانية المنتظمة ، أى الخبرات التى تفسرها القوانين التى يكشفها الانسان عندما يستخدم المنهج العلمى فى دراسة الظواهر انسانية كانت أو مادية ، فالعلم ليس فقط سجلا للاراء ، ولكنه سجل لما تعين هذه الاراء الانسان على ما يقوم به وهو يواجه ظواهر الطبيعة أو ظواهر المجتمع مواجهة موضوعية ، وهو اذ يفعل ذلك يكون دائما مهتديا بالشعار القائل « لا شىء يأتى من لا شىء » .

وقد قال ابن خلدون ، قبل ظهور مفكرى النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى ، بوجوب اتخاذ « الاجتماع الانسانى » موضوعا لعلم مستقل ، وسمى هذا العلم باسم « علم العمران » (أى

التساكن والتنازل في مصر أو حلة ، للانس بالعشير واقتضاء الحاجات] ، وقال ابن خلدون عدة مرات بأن موضوع هذا العلم هو « العمران البشرى والاجتماعى الانسانى » ، مع ملاحظة أن علم العمران عندابن‌خلدون كان علما شاملا ، لانه يعتبر الحياة السياسيةوالاقتصادية. والصناعية والعلمية من مظاهر الحياة الاجتماعية ، وينظر الى الابحاث المتعلقة بها كفروع لعلم الاجتماع .

وقد اعتقد ابن خلدون ، قبل ظهور مفكرى النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى ، بأن الاحوال الاجتماعية تتأتى من عللوأسباب، وفهم أن هذه العلل والاسباب تعود فى الدرجة الاولى الى « طبيعة العمران » ، أى الى « طبيعة الاجتماع » .

وقد قال ابن خلدون ، قبل **كارل ماركس** ، بأن اختلاف الاجيال فى أحوالهم ، انما هو باختلاف نحلتهم من المعاش ، ثم يعلل هذا المبدأ وبعد ذلك يوسعه ويفصله فى فصول عديدة ، وهو بذلك ينم عن نزعة قوية لتعليل الحوادث الاجتماعية بالعوامل الاقتصادية ، ونثر بذور ما يعرف الان باسم « المادية التاريخية » .

ـ ١١ ـ

وفى ضوء النتائج التى استخلصناها فى بند رقم ٩ ، نلاحظ أن موضوع علم الاجتماع فى الاتحاد السوفيتى هو نفس موضوع علم الاجتماع فى المجتمعات الاخرى منذ أوجست كونت بل منذ ابن خلدون قبل كونت بمدة تزيد على أربعمائة وستين عاما ، ان هذا الموضوع هو موضوع مستقل ..هوالمجتمع ككل ، ونلاحظ أيضا أن علم الاجتماع فى الاتحاد السوفيتى يرتبط دائما بفلسفة واضحة هى « الفلسفة الماركسية » وهى مادية ، واذا حاولناأن‌نتبين ارتباط علم الاجتماع فى المجتمعات الغربية ، نجد أنه مرتبط دائما بفلسفة تكون واضحة أحيانا أو غير واضحة أحيانا أخرى ، وان ادعى بعض علماء الاجتماع فى الغرب غير ذلك ، وهى فلسفةفى‌الاغلب الاعم مثالية .

ويرى بعض علماء الاجتماع السوفيت ، وعلى رأسهم اوسيبوف ، أن مفهوم المجتمع قبل ماركس كان يعنى مجرد « مجموعة من الناس يتغيرون بطريقة أو بأخرى وفقا لمشيئة الحكام » ، ولعل قارىء هذا المقال يرى، كمارأى، أن‌معنى مفهوم المجتمع عند ابن خلدون لم يكن كذلك ، وهو بالتأكيدليس‌المعنى الذى يتبناه علماء الاجتماع فى المجتمعات الغربية فى الوقت الحاضر .

صحيح أن ماركس قد أسهم فى اثراء النظرية الاجتماعية فاهتم بالبناء الاقتصادى للمجتمع واستخدم هذا المفهوم‌فى‌دراساته ، كما اهتم بنمو العمل الانسانى التاريخى على أساس أنه العلاقة الاساسية بين الانسان والطبيعة ، وحاول أن يصنف المجتمعات فى ضوء النظم الاجتماعية الاقتصادية ، وأن ماركس قد أثرى النظرية الاجتماعية ، ما فى‌ذلك من شك ، عن طريق تحليله للبناء الفوقى الايديولوجى فى علاقته بما سماه بـ « الاساس الحقيقى » للمجتمع ، اى أسلوب الانتاج وما يتصل به من علاقات اجتماعية ، وأن ماركس فى ضوء التراث العلمى يعتبر واحدا من مؤسسى « علم الاجتماع المعرفى » ، وكان أول من اهتم بدراسة‌الثورات دراسة اجتماعية، كما اهتم بمستقبل المجتمع الانسانى حيث نرى ماركس قد استطاع أن ينسج علم الاجتماع والفلسفة الاجتماعيةلينتج‌منهما مذهبا يعتبر ليس فقط مادة من المعرفة العلمية بل حافزا ، فى الوقت نفسه : الى العمل السياسى، ومع ذلك فاننا يمكن أن‌نقول بحق ان ابن خلدون ذكر قبل ماركس أن « الاحوال الاجتماعية تتأتى من علل وأسباب، وفهم أن هذه العلل والاسباب تعود فى الدرجة الاولى الى « طبيعة العمران » ، أى الى « طبيعة الاجتماع » . وأن ابن خلدون قد أظهر نزعة قوية لتعليل الحوادث الاجتماعية بالعوامل الاقتصادية .

واذا كان علم الاجتماع عند ابن خلدون علما شاملا ، لانه كان يعتبر الحياة السياسية والاقتصادية والصناعية والعلمية من مظاهر الحياة الاجتماعية ، وأنه كان ينظر الى الابحاث المتعلقة بها كفروع لعلم الاجتماع ـ فانه يبدو فى ضوء تعدد مجالات البحوث العلمية الاجتماعية التى يجريها الباحثون الاجتماعيون السوفييت ، وتعدد مستويات اختيار هذه البحوث ، وشمول هذه المستويات ـ أن علم الاجتماع فى المجتمع السوفييتى علم شامل كذلك ، ويدل على ذلك ما يذكره كيل صراحة فى قوله : « أن ندرك الطبيعة ونستخدم قوانينها من أجل ازدهار التقدم التكنولوجى لايعنى الا ناحية واحدة من نواحى تطبيق العلم الذى كسب امتيازا خاصا بظهور انتاج الالة ، أما أن ندرك قوانين الحياة الاجتماعية لكى نستخدمها فى التطبيق فانه يعني ناحية أخرى من سلطان العلم على **التنمية الاجتماعية** التى تكتسب أهمية خاصة فى المجتمع الاشتراكى » ، والمعلوم ان مفهوم « التنمية الاجتماعية » يتضمن ، فى رأى المتخصصين فى منظمة الامم المتحدة ، والاتحاد السوفييتى عضو فيها ، عمليات عديدة ، منها ما هو اقتصادى ، ومنها ما هو اجتماعى ، ومنها ما هو نفسى اجتماعى ، ومنها ما هو ثقافى ، ومنها ما هو

سياسى ، ومنها ما هو تربوى ، ومنها ما هو قانونى ، ومنها ما هو ادارى ·· الخ ·

وعلم الاجتماع فى المجتمعات الغربية علم شامل كذلك ، تراه فى الولايات المتحدة ، مثلا ، يدرس أو يشترك فى دراسة المجتمع المحلى ، والشخصية ، والنظم الاجتماعية ، والاسرة ، والضبط الاجتماعى ، والتنظيم الاجتماعى ، وعلم الجريمة ، والتاريخ ، والسياسة ، والسكان ، وعلم النفس الاجتماعى ، وعلم الاجتماع المعرفى ، وعلم الانتروبولوجيا ، والريف ، والحضر ، والايكولوجية البشرية ، والتربية ·· الخ ·

ونلاحظ أن علم الاجتماع فى المجتمع السوفيتى ليس له موضوع مستقل وشامل فحسب ، بل انه يعتمد على الاسلوب العلمى كذلك ، مثله مثل علم الاجتماع فى المجتمعات الاخرى ، وأن الاختلاف بين علم الاجتماع فى المجتمع السوفييتى وبين علم الاجتماع فى المجتمعات الاخرى يرجع الى ربطه بالفلسفة الماركسية · فى حين أن علم الاجتماع فى المجتمعات الاخرى يرتبط بفلسفة أو فلسفات أخرى وان ادعى بعض علماء الاجتماع فى المجتمعات الاخرى غير ذلك ، ويتضح هذا الاختلاف جليا عند اجراء البحوث العلمية الاجتماعية فى هذه المجتمعات ، حيث نجد أهداف هذه البحوث مختلفة ، واختيار موضوعاتها مختلفا ، وتفسير نتائجها مختلفا كذلك ·

والملاحظ أن ارتباط علم الاجتماع ، كواحد من العلوم الانسانية ، بايديولوجية معينة أو بفلسفة من الفلسفات السائدة ، أمر ضرورى ، ولا يعيب هذا العلم ذلك ، فالعلم يجب أن يكون ، بالضرورة للمجتمع ، والمجتمعات متباينة ، وايديولوجياتها أو فلسفاتها السائدة متباينة كذلك ، وعلم الاجتماع ، كواحد من العلوم الانسانية ، يهتم بالتعرف موضوعيا على ما هو كائن فى المجتمع لكى يغيره الى ما يجب أن يكون . ويكون التغيير الى مايجب أن يكون فى المجتمع الاشتراكى ، بالضرورة ، فى سبيل مصلحة الملايين ، وفى المجتمع الرأسمالى يكون التغيير الى ما يجب أن يكون ، بالضرورة ، فى سبيل مصلحة حفنة من أعضاء المجتمع أو حكومة تحكم باسم هذه الحفنة ·

ونستلخص من ذلك أن علم الاجتماع هو علم الاجتماع ، ولكن دوره يختلف فى المجتمعات البشرية حسب اختلاف ايديولوجيات هذه المجتمعات ، أو حسب الفلسفات السائدة فى هذه المجتمعات ، وأثر هذا الاختلاف يبدو واضحا ، فى مجتمع أو آخر ، فى أهداف تطبيق القوانين التى يكتشفها هذا العلم ، وفى نمو هذا العلم ، وفى نوعية هذا النمو وفى اتجاهاته ·

وفى ضوء المسئولية الجبارة التى يواجهها القادة المثقفون فى مجتمعنا المصرى المعاصر ، ومنهم علماء الاجتماع وطلابه ، فان الرجاء أن يعملوا جاهدين فى سبيل تحقيق وضوح الرؤية فى محيط العلوم كلها وبخاصة العلوم الانسانية منها ، وأن يعملوا على تنقيتها من الشوائب التى تثير البلبلة والحيرة وتنتج العقم فى معظم الاحيان ، وأن يعملوا على ارساء دعائمها فى ضوء مبادىء مجتمعنا الاشتراكية وقيمه ومثله العليا ، حتى يتحقق فعلا وحقا ، بناء مجتمعنا الاشتراكى الجديد ·

ولعل ذلك أن يحدث اذا استطاع هؤلاء القادة أن يخلقوا المناخ الاجتماعى الثقافى الرشيد الذى ييسر العمل الموضوعى فى محيط أعضاء مجتمعنا على اختلاف فئاتهم وجماعاتهم ، **ولعل أول خطوة فى سبيل خلق هذا المناخ أن نبادر بارساء دعائم سياسة اجتماعية ثقافية رشيدة واضحة المعالم** تعمل أجهزة الدولة والاجهزة الشعبية على تباينها **على هديها وهى على بينة من أمرها ، حثيثا ، نحو تحقيق أهداف مجتمعنا فى الحاضر وفى المستقبل لكى يستمر فى صراع التحديات المعاصرة حتى يصرعها وينتصر ، ولكى يتسلط على التحديات العصرية ويصنع مستقبله المشرق ·**